مداخلة: القيم الأخلاقية في مشروع علم الكلام الجديد في فكر عبد الجبار الرفاعي

ندوة دولية حول : سؤال القيم في العلوم الإسلامية بين الخصوصية و الكونية

26–27 نوفمبر 2019 كلية الآداب و العلوم الإنسانية ظهر المهراز

فاس المملكة المغربية

إعداد : د. زبيدة الطيب

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملخص

تتناول الورقة البحثية مسألة القيم الأخلاقية في علم الكلام الجديد عند المفكر العراقي عبد الجبار الرفاعي؛ بوصفه أحد أبرز المهتمين بالموضوع.

وتهدف إلى بيان افتقار علم الكلام الموروث إلى القيم الأخلاقية؛ التي تؤسس لقبول المخالف والتواصل معه. ومن ثمة ضرورة تجديده بالقدر الذي يتجاوز فيه أسباب التمركز حول الذات المذهبية والطائفية نحو الانفتاح والحوار.

وتسعى إلى محاولة الاستفادة من التجارب التجديدية التي تطال كل الحقول المعرفية الدينية في العالم الإسلامي، ومن ثمة الإسهام في تطوير المعرفة الدينية في جامعتنا وبلادنا.

Summary :

The paper deals with the issue of moral values in « Ilm-kalam djadid »of the Iraqi thinker Abdul jabbar Rifai.

This paper aims to demonstrate the lack of inherited speech science of moral values ;which establishes to accept the offender and communicate with him . It is therfor necessary to renew it to the extent that it goes beyondthe reasons for focusing on the sectarian self towards opennes and dilogue .

It seeks to take advantage of the innovative experiences affecting all fields of religious knowledge in the Islamic world, and thus contribute to the development of religious knowledge in our university and our contry.

القيم الأخلاقية في مشروع علم الكلام الجديد في فكر عبد الجبار الرفاعي

الملخص:

تعاني المجتمعات الإسلامية تراجعا على مستوى القيم الأخلاقية؛ يظهر في ضعف العلاقات والروابط الاجتماعية والإنسانية، وفي فقدان القدرة على التواصل والانفتاح والتعايش مع المخالف في الدين والعقيدة والمذهب واللون والعرق؛ ما يجعل البحث في كيفية معالجة هذه الظاهرة ضرورة حضارية ومجتمعية.

وتعد العلوم والمعارف الإسلامية- وعلى رأسها علم الكلام- من بين المصادر التي يقع عليها التعويل في تزويد الدراسات والأبحاث بالنظريات والمباحث الأخلاقية؛ التي تعين على بناء علاقة سوية مع المخالف، بالنظر إلى أهمية هذا العلم؛ كونه العلم الذي يستبطن الرؤية الإسلامية للإله والكون والحياة والإنسان.

غير أن الناظر يلحظ أن هذا العلم؛ يعاني فقرا كبيرا في تناول الموضوعات والمباحث ذات الصلة بالقيم وفراغا رهيبا للأبعاد والمضامين الأخلاقية؛ بالقدر الذي لم يعد فيه قادرا على صناعة أجواء التواصل والحوار بين مختلف المكونات الدينية في المجتمعات الإسلامية، بل بات مصدرا يغذي القطيعة والتمركز حول الذات الدينية والمذهبية والطائفية. وهو ما أدركه بعض المفكرين والباحثين؛ الذين توجهوا ببحوثهم ودراساتهم نحو محاولة تشكيل منظومة كلامية تراعي المضامين الأخلاقية، وترعى التواصل والتعايش مع المخالف.

ويعد الدكتور عبد الجبار الرفاعي أحد أبرز المهتمين بذلك؛ يدل على ذلك أبحاثه ودراساته ومؤلفاته والندوات التي يديرها ويشارك فيها، وحتى منشوراته على مواقع التواصل الاجتماعي؛ الأمر الذي دفعنا إلى البحث في هذه المحاولة من أجل كشفها وبيان قيمتها، وجعلنا نتساءل: **إلى أي مدى يمكن لمشروع علم الكلام الجديد في فكر عبد الجبار الرفاعي أن يستدرك غياب القيم الأخلاقية في علم الكلام الموروث؟** ولذلك حملت الورقة عنوان: **القيم الأخلاقية في مشروع علم الكلام الجديد في فكر عبد الجبار الرفاعي**، وهي(أي الورقة) التي أطمع في أن أضمنها الإجابة على الإشكالية المطروحة من خلال الخطة التالية:

المبحث الأول: علم الكلام القديم وافتقاره للمضمون الأخلاقي في فكر عبد الجبار الرفاعي

المبحث الثاني: الكلام الجديد والقيم الأخلاقية في فكر عبد الجبار الرفاعي

المبحث الثالث: قبول المخالف ومنهج تمثله في مشروع الكلام الجديد عند عبد الجبار الرفاعي

المبحث الأول: علم الكلام القديم وافتقاره للمضمون الأخلاقي في فكر عبد الجبار الرفاعي

المطلب الأول: علم الكلام في فكر عبد الجبار الرفاعي– مفهومه وموقعه في الفكر الإسلامي

علم الكلام هو أحد أهم الحقول المعرفية الإسلامية؛ التي كان لها دورا في الدفاع عن العقيدة الإسلامية في بداية نشأته وفي مراحل تالية من تطوره. وأكثر ما كان يميزه هو كونه ساحة للتباري العقلاني ومقارعة الحجة بالحجة؛ ما أدى إلى نشأة الكثير من الفرق الإسلامية التي تباينت آراؤها وأسهمت في ازدهار حركة معرفية نظرا " لتوفر أرضية مناسبة وشيوع تقاليد ثقافية ترعى حق الاختلاف وتؤمن بالتعددية الفكرية. "[1] و" تنتمي مباحثُه إلى ما يُصطلح عليه بـ"الحكمة النظرية أما الأخلاقُ فتنتمي للحكمةِ العملية."[2]

ويحتل علم الكلام عند عبد الجبار الرفاعي مرتبة متقدمة بالنظر، ليس فقط إلى طبيعة هذا العلم ودوره ومكانته التي سبقت الإشارة إليها، بل بالنظر إلى ما يتعلق بطبيعة تخصصه ومساره الدراسي والتعليمي أيضا؛ فالرجل درس العلوم الشرعية في الحوزة العلمية وتخصص في علم الكلام، ودرَّسه وأشرف وناقش أكثر من ستين رسالة دكتوراه وماجستير في الفلسفة وعلم الكلام[3]

وهو في الفكر الإسلامي يعد العلم الذي؛ يستبطن رؤية وتصور المسلمين للإله والكون والحياة والإنسان وأحد " أبرز تجليات العقل الإسلامي في تعاطيه مع الوحي."[4] و" أهميته تكمن في إطلاق حرية الاجتهاد العقائدي واختلاف المقولات ."[5] ومن ثمة عُدَّ " المتكلمون من أغزر علماء الإسلام اجتهادا وأشدهم تنوعا في الآراء واختلافا في ابتكار المفاهيم الاعتقادية وتفسيرها."[6] وهذه المكانة جعلت مركزيته " داخل الثقافة تتجاوز حدود بلورة قواعد العقائد إلى صياغة قواعد الذهن وأصول العقل وبما يستتبع ذلك من التحكم في آليات إنتاج التفكير وطرائق إنتاج المعرفة."[7] " وهو بذلك يعتبر "نظام الخطاب القابض من الوراء على الأبنية العميقة لكل من الواقع والعقل."[8]

إلا أن هذه المكانة، لا تعني سلامة علم الكلام من الكثير من أوجه النقص والعيوب التي أضعفته

---

[1]/ عبد الجبار الرفاعي، مقدمة: مجلة قضايا إسلامية معاصرة، ملف العدد: الاجتهاد الكلامي– مناهج ورؤى في الكلام الجديد– إعداد: عبد الجبار الرفاعي، دار الهادي، ص7.

[2]/عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام والحياة الأخلاقية، http://www.almothaqaf.com/qadayaama/b1d/925203-، ع13، 2018/02/4791.

[3]/ عبد الجبار الرفاعي، السيرة الذاتية، مرسلة عبر البريد الإلكتروني الخاص، بتاريخ 2018 /5/4.

[4]/ عبد الجبار الرفاعي، الاجتهاد الكلامي، مصدر سابق، ص9

[5]/ المصدر نفسه، ص10

[6]/ المصدر نفسه، ص 40

[7]/ علي المبروك، علم الكلام وسؤال الواقع العربي الراهن –من نقد الممارسة إلى تفكيك نظام المعنى الكامن، ضمن كتاب: علم الكلام الجديد: مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين، ضمن موسوعة فلسفة الدين(3) ، إعداد وتحرير: عبد الجبار الرفاعي، ط1، بغداد، مركز دراسات فلسفة الدين، 2016، ص 200.

[8]/ المرجع نفسه، ص 198.

وأخرت دوره، وعلى رأسها افتقاره للمضمون الأخلاقي؛ وهو ما يكشفه المفكر عبد الجبار الرفاعي.

المطلب الثاني: افتقار علم الكلام القديم للمضمون الأخلاقي في فكر عبد الجبار الرفاعي

يجتهد الرفاعي في بيان الكثير من العناصر التي يُعدها أوجه قصور؛ أضعفت دور علم الكلام وجعلته يتخلف عن أداء وظيفته، ولعل أبرزها ما أسماه **افتقار علم الكلام للمضمون الأخلاقي**[1] ، وهو العنصر الذي أوصل هذا العلم إلى وضع أضحى فيه مسئولا عن الكثير من الضعف القيمي والانهيار الأخلاقي؛ الذي ينعكس تلقائيا على العلاقات بين مختلف الاثنيات الدينية والمذهبية والعقدية والعرقية وغيرها...

وتعد الصياغات الكلامية؛ التي أعقبت ما يسمى بحادثة خلق القرآن أو محنة الإمام أحمد ابن حنبل أحد أبرز مظاهر **الافتقار الأخلاقي** الذي طال علم الكلام في فكر الرفاعي،كما تعد تلك المرحلة البداية الفعلية التي؛ حرفت مساره وأخرجته من مساحةٍ لحرية الرأي والفهم إلى مساحة لتكفير وتبديع وتضليل المخالف والحجر على رأيه واستباحة دمه وإهدار حقه في الفهم والتفسير في ظل وضع سياسي وتسلطي؛ أفرزته تلك الحادثة الدموية. يقول الرفاعي:" إن هامش الحرية بدأ يذبل ويضمحل حين طغت روح التكفير في ذهن فقهاء القصر السلطاني وتعاون المتوكل العباسي مع أولئك الفقهاء وفرض ترسيمة كلامية محددة منحها المشروعية فيما حظر أي وجهة نظر خلافية في مقابلها."[2]

وقد تم ترسيم هذا الانحراف الأخلاقي في وثيقة؛ عُدت في نظر الرفاعي أخطر وثيقة لأنها ترسم التكفير وتصادر حق التفكير؛ ويقصد بها الوثيقة القادرية التي تنسب إلى الخليفة القادر، وفيها تم ترسيم الرؤية الواحدة والتفسير الواحد وحظر الآراء المخالفة، بل واستباحة دم أصحابها ؛ إذ يقول:" وتبنى هذا الاعتقاد (يقصد الاعتقاد القادري) رؤية الحنابلة وانحاز بإسراف إلى مواقفهم بينما استهدف بقية المسلمين واستباح دماء بعضهم لمجرد تمسكهم بمعتقد يخالف ما جاء فيه."[3]كأن يقول بخلق القرآن مثلا، ومن ذلك ما يرويه ابن الجوزي" أن القادر بالله استتاب المعتزلة؛ فأظهروا الرجوع وتبرؤوا من الاعتزال. ثم نهاهم عن الكلام والتدريس والمناظرة في الاعتزال والرفض[4] والمقالات المخالفة للإسلام، وأخذ خطوطهم[5] بذلك." [6]

وترسيم الرؤية والفهم للمسألة العقدية؛ يعني جعلها العقيدة الرسمية للدولة بقوة السيف والقانون واعتبار ما عداها بدعة وخروجا عن النظام واستهدافا لوحدة الأمة؛ يقول الرفاعي:" وفي الحقبة التالية ساد الموقف

---

[1]/ عبد الجبار الرفاعي، افتقار علم الكلام إلى المضمون الأخلاقي، 29/ 2018/01 https://taadudiya.com/

[2]/ عبد الجبار الرفاعي، الاجتهاد الكلامي، مصدر سابق، ص7

[3]/ المصدر السابق، ص7

[4]/ الرفض وصف للشيعة؛ الذين أطلق عليهم تسمية الروافض، وهي تسمية قدحية تعبر عن رفضهم خلافة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بحسب ما يرى خصومهم.

[5]/ أي توقيعاتهم.

[6]/ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، بيروت، دار صادر، ج7، ص287

التسلطي في فرض الآراء الكلامية، وتصنيف أية محاولة لا تلتقي مع الموقف الأيديولوجي للسلطة ووعاظها باعتبارها ابتداعا ومروقا وانشقاقا على وحدة الأمة وجرى تقنين هذا الموقف الأيديولوجي بنص كتبه القادر بالله واشتهر باسم الاعتقاد القادري."[1]

وبذلك أسهم سلوك القادر بالله في خلق وتأمين بيئة؛ ازدهر فيها الرأي الواحد والفهم الواحد والتفسير الواحد، حتى صار مع مرور الأيام "مصدرا للمواقف الصارمة العنيفة تجاه عامة المسلمين من الذين ينتهجون نهجا مغايرا ويستندون إلى العقل في فهم وتحليل قضايا المعتقد، ويمارسون الاجتهاد الكلامي ويرفضون الترسيمات الأيديولوجية الجاهزة ويحرصون على غربلة ومحاكمة الآراء الكلامية واصطفاء ما ينهض الدليل على إثباته ونفي ما سواه." [2] وعمل، في الآن نفسه، على تغييب الوعي القيمي وتجريد علم الكلام من بعده الأخلاقي[3] وهو ما عده الرفاعي أحد " مناشئ قصور علم الكلام التقليدي عن الوفاء بالمتطلبات العقيدية للمسلم اليوم."[4] الأمر الذي يتطلب اليوم المراجعة والتصحيح؛ بالمعنى الذي تأخذ فيه **القيم الأخلاقية** موضعا يؤسس للانفتاح على الفهوم والآراء والتفسيرات وفهمها ، وتَفَهُّم المخالف واحترام معتقده ورأيه بعيدا عن التحيزات الطائفية والقبليات المذهبية والاثنية التي؛ تخرب العلاقات بين المسلمين، وهو ما يظهر في مشروعه الخاص بالكلام الجديد.

هكذا ينظر الرفاعي إلى أن ما صاحب حادثة خلق القرآن وما أعقبها؛ أفقد علم الكلام القيم والمضامين الأخلاقية ورسخ الحجر على المخالف وتجهيله وتبديعه. فما موقع القيم الأخلاقية في مشروع علم الكلام الجديد؟ وقبل ذلك ما المقصود بالكلام الجديد في فكر الرفاعي؟

المبحث الثاني: الكلام الجديد والقيم الأخلاقية في فكر عبد الجبار الرفاعي:

المطلب الأول: الكلام الجديد في فكر عبد الجبار الرفاعي:

ينطلق الرفاعي في مقاربته لعلم الكلام الجديد من عرض مختلف معاني التجديد التي طالت علم الكلام وأخذت صيغة **تجديد علم الكلام**؛ حيث يرى أن التوجه العام لأغلب المفكرين في العالم الإسلامي؛ لا يراعي الوحدة العضوية الحاصلة بين أبعاد العلم الواحد.

فمن المفكرين من يقصد بالتجديد؛ إلحاق مسائل جديدة واستيعابها في إطار المنظومة الموروثة لعلم الكلام، وهو ما ينجم عنه–برأيهم– نمو وتطور علم الكلام نفسه؛ فالتجديد؛ بهذا المعنى يعني معالجة مسائل راهنة أو شبهات مستحدثة؛ معالجة عقدية إسلامية تظهر فيها الرؤية العقدية التوحيدية وخصائصها وفرادتها وقدرتها،

---

[1]/ عبد الجبار الرفاعي، الاجتهاد الكلامي، مصدر سابق، ص 7

[2]/ المصدر نفسه، ص9

[3]/ من المهم التذكير أن هذا السلوك الذي أسهم في تغييب الوعي الأخلاقي؛ قد ابتدأته المعتزلة بمحاولتهم ترسيم القول بخلق القرآن بالاعتماد على سلطة الخليفة المأمون، وهو السلوك الذي انقلب عليهم فيما بعد ليتحول جلاد الأمس إلى ضحية اليوم.

[4]/ عبد الجبار الرفاعي، تمهيد لدراسة علم الكلام الجديد، ضمن كتاب: علم الكلام الجديد: مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين، مصدر سابق، ص 22

حتى وإن كانت هذه المسائل تنتمي إلى جوانب الشريعة العملية؛ بالمعنى التصنيفي للعلوم الإسلامية نحو مسألة تعدد الزوجات ومسألة الربا وشبهات الرق وملك اليمين وغيرها...أو أخرى تتعلق بنظام الحكم في الإسلام والسياسة الشرعية كالشورى وعلاقتها بالديمقراطية وحقوق الإنسان والعلاقات الدولية.

وهناك من يعني به تجاوز الغاية المعروفة لهذا العلم، والتي تتلخص في الدفاع عن المعتقدات والمذاهب الخاصة، والذهاب إلى تحليل حقيقة الإيمان ومجمل التجربة الدينية وأثرها في حياة الإنسان. وهذا يعني أن التجديد يطال غاية علم الكلام دون بقية الأبعاد.

ومنهم من عني به التجديد في المناهج؛ عن طريق توظيف مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية و" الاستفادة من منجزات العقل الإنساني في العلم وفي الفلسفة لإقامة البراهين العقلية الجديدة على صدق هذه الأصول"[1] أي الإبقاء على أصول العلم وهندسته والاكتفاء بالاستعانة بتلك العلوم والمناهج من أجل إثبات صدقها (أي صدق أصول العلم).

وآخرون يرون التجديد في التحول في الموضوع، والخروج من الاهتمام بقضايا وجود الباري وصفاته، والنبوة العامة والخاصة، والمعاد، إلى نطاق واسع يستوعب كافة القضايا الموجودة في النصوص المقدسة، سواء منها الناظرة إلى الواقع أو الناظرة إلى الأخلاق والقيم.

ويذهب آخرون إلى أن التجديد هو تبسيط لغة علم الكلام والانتقال من لغة المتكلمين القديمة ومعمياتها وألغازها، إلى لغة حديثة تعبر بيسر وسهولة عن المداليل، ويفهمها المخاطب من دون عناء.[2]

وبعد عرضه لمختلف معاني التجديد؛ يخلص الرفاعي إلى قصور التجديد بهذا المعنى؛ الذي يغفل عنصرا مهما في بناء العلوم، وهو أن أبعاد كل علم تشكل نسيجاً متكاملاً فيما بينها، ويوحدها التأثير المتبادل؛ أي أن تحولا في أحدها يستتبعه تحولٌ في سائر الأبعاد الأخرى. وهذا يعني تخلخل المنظومة السابقة للعلم وحدوث منظومة بديلة؛ يأخذ فيها كل بعد من أبعاد العلم موقعه الملائم، ويعاد نظم المسائل في إطار يتسق مع التحولات الجديدة في المسائل والغايات، والموضوع، والمناهج، واللغة ، ومعنى ذلك تجديد الهندسة المعرفية لعلم الكلام. [3]

وعليه فإن التجديد بالمعنى الذي يورده الرفاعي يطال كل أبعاد العلم، ولا يقتصر على أحدها دون الآخر؛ لأن ذلك غير متيسر طالما أن التحول الذي يقع في واحد منها يؤثر بالضرورة في الآخر؛ فأبعاد كل علم تشكل نسيجاً متكاملاً فيما بينها، ويوحدها التأثير المتبادل،-كما يقول - وهكذا نخلص إلى منظومة بديلة وعلم

---

[1]/ محمد عمارة ، الاجتهاد الكلامي، ضمن:كتاب الاجتهاد الكلامي- مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد- مصدر سابق، ص125.

[2]/ انظر على سبيل المثال ما كتبه جمال الدين الأفغاني في " الرد على الدهريين" ومحمد عبده في كتاب" ووحيد الدين خان في " الإسلام يتحدى" ومحمد إقبال في " تجديد الفكر الديني" ومالك بن نبي في " الظاهرة القرآنية" وما كتبه عبد المجيد النجار وغيره من المفكرين المعاصرين.

[3]/ انظر: عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام الجديد-مدخل لدراسة اللاهوت الجديد ودل العلم والدين، مصدر سابق، ص44.

جديد.

ويرجح الرفاعي أن يكون شبلي النعماني هو من أوائل الداعين إلى تجديد علم الكلام من دون أن يكون هو من نحت مصطلح علم الكلام الجديد؛ الذي أضحى عنوانا للاتجاه الحديث في إعادة بناء علم الكلام بالرغم من جزمه أن المصطلح ظهر أول مرة في كتاب لشبلي النعماني حمل هذا العنوان، ونشر في الهند عام 1903.[1]

المطلب الثاني: مفهوم القيم الأخلاقية في فكر عبد الجبار الرفاعي:

تعد ألفاظ وعبارة "القيم" أو "الأصول" أو "المبادئ الأخلاقية" مرادفات؛ تعني تحديد الموقف الأخلاقي من أي عمل يصدر عن الغير، أو يراه في الغير أكان الغير حيوانا أو إنسانا أو يصادفه الإنسان في حياته وبيئته ومحيطه وعالمه. وبتعبير آخر هي منظومة ترعى وتوجه علاقات الناس بعضهم ببعض أو علاقاتهم بالعالم والمحيط والبيئة.

وهي عند الرفاعي " الشرطُ الذي يتحقّق به نمطُ حضورٍ إنساني لهذا الكائن في العالم، فهو من دون أخلاقٍ ليس إنسانًا."[2] فالإنسان كائن أخلاقي، ومن دون أخلاق يصبح هو وسائر الكائنات سيان؛ بل أكثر من ذلك هو يفقد وجوده في غياب الأخلاق لينتهي إلى الغياب عن العالم؛ فـ" اضمحلال الحياة الأخلاقية يفضي إلى اضمحلال وجود الكائن البشري وهشاشة كينونته والذي ينتهي إلى غيابه عن العالم."[3]

ولتوضيح مفهومه للقيم الأخلاقية يقسم الرفاعي القيم عموما إلى ثلاثة أقسام هي: " القيم الروحية، والقيم الأخلاقية، والقيم الجمالية. ولكلّ واحدة من هذه القيم وظيفتها الأساسية، وكلٌّ منها يحقّق كمالًا للإنسان على شاكلته، ويُشبعُ احتياجات أساسية لحياة الفرد والجماعة."[4]

أما القيم الأخلاقية:" فهي التي تعمل على إقامةِ بناءٍ سليم للروابط الاجتماعية، وتجعل العلاقةَ بالآخر عادلة، تنشد خيرَ البشرية وأمْنَها وسلامَها."[5] وعليه فإن المقصود بالقيم الأخلاقية؛ هي تلك التي يقع عليها التعويل في تزويد المجتمع بثقافة التعايش والحوار وقبول الآخر والانفتاح عليه، من أجل أن تكون العلاقة به علاقة سليمة يملأها الأمن والسلامة والتعاون على البر والتقوى ومحاربة الإثم والعدوان؛ خدمة لجميع البشر وللإنسانية كافة بصرف النظر عن المعتقد والدين والمذهب والطائفة والعرق وسائر الإثنيات.

ولأن الخلط قد يحدث في التفريق بين القيم الروحية والأخلاقية؛ فإن الرفاعي يوضح الوظائف التي

---

[1]/ انظر: المصدر نفسه، ص 45.

[2]/ المصدر السابق، ص 39

[3]/ المصدر نفسه، ص39

[4]/ عبد الجبار الرفاعي، افتقار علم الكلام إلى المضمون الأخلاقي، تعددية،2018/01/29 https://taadudiya.com/%D8%

[5]/المصدر نفسه.

تؤديها كل واحدة منها حتى يسهل التفريق بينها؛ فيقول:" نعم هناك علاقة عضوية وتأثير متبادل بينهما؛ فالقيم الروحية تشبع الفقر الوجودي للإنسان وتروي الظمأ الذي يحتاجه للمقدس. [...] بينما القيم الأخلاقية تنظم الحياة الاجتماعية وتجعل العلاقات بالآخر سليمة تنشد خير البشرية لكنها ليست بالضرورة تثري الفقر الأبدي للكينونة البشرية وتروي الظمأ المزمن للمقدس والذي لا يحقق له الامتلاء والارتواء والسكينة والطمأنينة سوى القيم الروحية."[1]

فهي، أي القيمَ الأخلاقية،" لا تُثْرِي الفقرَ الوجودي للكينونة البشرية، ولا تروي الظمأَ المزمنَ للمقدس الذي ترويه القيمُ الروحية؛ لذلك أضحى المقدّس منبعًا لأمنِ النفس، وسكينةِ الروح، وطمأنينةِ القلب."[2] ويُمَثّل لذلك من أجل تقريب الفهم فيقول:" الإيمان مثلا بوصفه قيمة روحية يمتلك تأثيرا سحريا تتحول معه الأرواح لتتسامى وتحلق في عوالم ملكوتية. الحب أيضا رغم أنه يساهم في منح حياتنا الاجتماعية وعلاقاتنا بالغير الكثير من الدفء والسلام لكنه بوصفه قيمة روحية يهبنا ما لا تهبنا القيم الأخلاقية كالصدق وغيره."[3]

وبالرغم من التفريق بين المنظومتين القيميتين؛ أقصد القيم الروحية والأخلاقية، إلا أن العلاقة بينهما تظل وطيدة. وتظهر تلك العلاقة في حاجة القيم الأخلاقية إلى المنبع الذي تستمد منه القوة، والذي يمثل الرافد الذي يزودها وأقصد القيم الروحية؛ لأن نهاية الإشباع الروحي هو إشباع للأخلاق، ولذلك لا يمكن للقيم الروحية إلا أن تنتج قيما أخلاقية.

وعليه فإن الأخلاق لا تنفك عن الروح أو الإيمان بأي شكل من الأشكال؛ وهو ما يعبر عنه الرفاعي بالقول:" في حياتي لا إيمان بلا أخلاق."[4] فالإيمان والدين بصفة عامة هو مصدر الأخلاق، وإذا لم يحضر الدين في شكل أخلاق فلا معنى له، وإذا لم يعبر عن نفسه في أخلاق تُجَمِّل المجتمع؛ فقد غدا تمثيلا زائفا وتدينا شكلانيا يكثر انتشاره في المجتمعات الإسلامية، وهو ما يسميه الرفاعي النموذج اللإنساني للتدين.

ولما كان الإيمان هو منبع الأخلاق؛ فإن الرفاعي يحرص على ضرورة تعهده بالرعاية والعناية من أجل أن ينتج قيما تعيد للعلاقات صفاءها وسلامتها. ولا تكون رعاية الإيمان إلا بالعبادات والإدمان عليها وبتعبير الرفاعي: " لا يمتلك الإيمان ويتكرس بلا مواظبة وإدمان على العبادات، تكرار العبادات والطقوس يسقي الإيمان بماء الحياة ويرسخه ويجذره."[5] وهذا ما يؤكده على مستواه الشخصي؛ إذ يقول:" إني لا أتذوق حلاوة الإيمان ولا تضيء التجربة الدينية روحي من دون أداء الصلاة[...] الصلاة والعبادات التي أؤديها هي معراج وصالي مع الحق

---

[1]/عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام الجديد، مصدر سابق، ص39

[2]/ عبد الجبار الرفاعي، افتقار علم الكلام إلى المضمون الأخلاقي، مصدر سابق

[3]/عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام الجديد، مصدر سابق، ص 39.

[4]/ عبد الجبار الرفاعي، الدين والظمأ الأنطولوجي، ط1، بغداد، مركز دراسات فلسفة الدين،2016، ص 71.

[5]/ المصدر نفسه، ص75

وهي جسر عبوري إليه في مدارج التسامي والصعود."[1]

إن تركيز الرفاعي على المداومة على العبادات من أجل امتلاك القيم الأخلاقية؛ نفهم منه الدعوة إلى ضرورة الوصل بين العقيدة والشريعة أو بين النظر والعمل أو بين العقيدة ومقتضياتها السلوكية في علم الكلام الجديد لأن " الناس يريدون إيمانا حيا يمشي في الأرض؛ يعيش مثلما يعيشون يتحسس أوجاعهم يسقيهم مطر الرحمة الإلهية يتضامن معهم عمليا الناس لا يستطيعون العيش من دون عطف وشفقة وتراحم وحنان[...] وذلك ما تجسده حياة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وأخلاقيات سيرته العملية وسلوكه الكريم، الذي يطبعه الرفق بالناس والعطف عليهم والرحمة بهم؛ فقد كانت سيرته مرآة ترتسم فيها القيم والأخلاق الربانية التي تحدثت عنها الآيات القرآنية."[2]

إن ما سبق بيانه يظهر أن القيم الأخلاقية؛ هي قيم عملية تتغيأ- بدرجة كبيرة- نسج علاقات آمنة وسليمة مع المخالف أياً كان، والمخالف في الرؤية والفهم والتفسير في الأمور العقدية بشكل خاص، ولا يكون ذلك إلا من خلال الاعتراف به وقبوله، وهو ما عده الرفاعي قيمة أخلاقية حرص على بيان مخاطر افتقادها ومنهج تمثلها في واقع المسلمين.

المبحث الثالث: قبول المخالف ومنهج تمثله في مشروع الكلام الجديد عند عبد الجبار الرفاعي:

المطلب الأول: قبول المخالف في مشروع الكلام الجديد عند عبد الجبار الرفاعي:

يعد قبول المخالف في فكر الرفاعي أهم قيمة أخلاقية؛ لذلك وجدناه يحرص عليها لتشكل جزءً من علم الكلام الجديد ؛ حيث يرى أنه يجب علينا تجاوز المنطق المانوي في رؤية الناس والأشياء والمواقف والتفسيرات، وتجاوز منطق التصنيف إلى أحد اللونين أو الجهتين أبيض وأسود أو خير وشر؛ لأن العالم والحياة فيها أكثر من لون. يقول الرفاعي: " لا معنى لسجن كل شيء في ثنائيات مانوية؛ هذا منطق قاد المجتمعات إلى حروب مرعبة شيدت مسيرة البشرية بالجماجم."[3]

وعليه فإن تجاوز المنطق المانوي في التفكير؛ يعني تجاوز التفسيرات التي تختزل التنوع الاثني والديني والمذهبي والطائفي الحاصل في مجتمعاتنا في أيديولوجية واحدة، تقترحها أو تؤمن بها أو تضعها جماعة معينة؛ لأن ذلك أمر ترفضه طبيعة الكائن البشري " وحاجته العميقة للإنجاز والتميز والفرادة."[4] فالله تعالى لم يخلق الناس صور طبق الأصل **"ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولكن لا يزالون مختلفين." [هود/ 118]**

إن أخطر ما يفرزه المنطق المانوي في التفكير هو شيوع النزعة الوثوقية " التي تنشأ من شعور المرء بوجود

---

[1]/ المصدر نفسه، ص72

[2]/ المصدر السابق، ص90

[3]/ المصدر نفسه، ص27

[4]/ المصدر نفسه، ص27.

وجه واحد للحقيقة وطريق خاص به لاكتشافها وهو ما يسوقه إلى الاعتقاد بامتلاك الحقيقة المطلقة واستباحة كل فعل عدواني ينتهك الأخلاق والدين."[1] وهو من ثمة "على الضد من حق الاختلاف بوصفه ينشد التوحيد القسري لأنماط التفكير والتعبير ومناهضة التعددية بمختلف تجلياتها وتعبيراتها."[2]

وفي هذا السياق يرى الرفاعي أن علم الكلام القديم يشارك- بدرجة كبيرة- في تكريس هذا المنطق المانوي، ومن ثمة هو يمارس أقسى أشكال التضييق على المخالف وحرمانه حق الرأي والفهم؛ فهو العلم الذي جُعلت غايته و"مطلوبه هو حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة."[3] أو " الرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة."[4] أي الدفاع على فهم واحد للعقيدة دون سواه واعتبار الفهوم الأخرى ضلال وبدع. وهي الغاية التي لم تكن في بداية نشأته وتأسيسه، مثلما يصرح الفارابي بالقول: " هو صناعة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرّح بها واضع الملّة وتزييف كلّ ما خالفها بالأقاويل." [5] والتي تُظهر أن علم الكلام في بداية نشأته لم يكن معنيا بالدفاع عن فهم معين أو رؤية بعينها؛ بقدر ما كان معنيا بالدفاع عن العقيدة الإسلامية ونصرتها ضد الشبهات؛ التي تثيرها باقي الملل والنحل الكفرية.

إن ما سبق بيانه هو ما يجعل " العمل على بناء علم كلام جديد يسمح للمسلم بالاحتفاظ بإيمانه من جهة والعيش في عالم يسوده التنوع والاختلاف من جهة أخرى."[6] هو- في الواقع- تعبير عن طبيعة الخلق التي حظي بها النوع البشري، وهو- في الوقت نفسه- تصحيح لمسار علم الكلام من أجل أن يتبوأ مكانته في المساهمة في إرساء دعائم قبول المخالف وليس إقصائه وتبديعه، وهذا يحتاج إلى ذات حرة مستقلة أو ما يسميها الرفاعي "الأنا الخاصة".

المطلب الثاني: منهج تمثل قيمة قبول المخالف في مشروع الكلام الجديد عند الرفاعي

الأنا الخاصة في فكر الرفاعي هي التي تحسن التواصل والتعايش، وهي في أغلب المجتمعات العربية والإسلامية تكاد تكون مفقودة؛ لأن الطائفة والمذهب والعرق والجهة والقبيلة هي من يقوم بتأطيرها (أي تأطير الأنا الخاصة)؛ لذلك هي لا تملك الهامش الذي يوفر لها حرية التواصل والانفتاح، إلا في الحدود التي ترسمها

---

[1]/ المصدر نفسه، 27

[2]/ المصدر نفسه، ص27

[3]/ أبو حامد الغزالي ، المنقذ من الضلال، وضع حواشيه وخرج أحاديثه وقدم له: أحمد شمس الدين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1988، ص32.

[4]/ عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ضبط المتن ووضع الحواشي الأستاذ: خليل شحادة، مراجعة: الدكتور: سهيل زكار، دط، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 2001ص 580.

[5]/ أبو نصر محمد الفارابي، ، إحصاء العلوم، تحقيق: عثمان محمد علي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1931، ص 71.

[6]/عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام الجديد، مصدر سابق، ص 35

وتسمح بها تلك الجهة.

إن الأنا الخاصة- في الأصل- هي قوام الحياة الباطنية للكائن البشري؛ ومن دونها يفتقد الإنسان ذاته ويصير نسخة مكررة متطابقة مع نموذج محدد سلفا؛ حيث تجري نمذجة الكل في سياق صفات ذلك النموذج وسماته وخصائصه.[1] وهذا ما يعمل على تكريسه جزء كبير من الخطاب الإسلامي تحت عناوين الطاعة والولاء والبراء وتحريم مساءلة الحكام وما إلى ذلك؛ خطاب ينتهي إلى محو الذات الفردية ليشكل نموذجا يساق إليه الأفراد سوق القطعان، ويصور الخارج عن هذا القطيع في صورة البدعي والضال الذي يمرق مروق السهم من الرمية؛ ولتصبح محاولات الاستقلال في الفهم والفكر ضربا من العقوق داخل الأسرة والمدرسة والجامعة والمجتمع وهنا " يتنازل الفرد عن ذاته ولا يكون سوى بوقا تتردد فيه أصوات الآخرين فيما يختفي صوته الخاص."[2] وفي هذا السياق يأتي التحذير من مطالعة أو قراءة كتب أو أديبات المخالف، أو مشاهدة قنواته أو متابعة أخباره؛ الذي نشهده خاصة في الجامعات التي يفترض فيها الانفتاح على كل الفهوم والتفسيرات والعلوم والمعارف؛ بوصفها مراكزَ للبحث.

إن صاحب هذه الأنا المستنسخة، هو من تتبدى فيه العبودية العقلية التي تعني عبودية الروح والعواطف والضمير؛ هي عبودية تظهر فيها الحياة النيابية التي تغيب فيها الأنا الشخصية، وتحدث فيها الاستقالة الجماعية للأفراد والمجتمعات لتترك الساحة للشيخ والرئيس ورئيس الحزب أن يفكر ويقرر مكانها.[3]

إن أجواء الانفتاح والتواصل؛ لا تصنعها الأنا الحرة فقط- كما يرى الرفاعي- إنما تسهم في صناعتها بشكل كبير أيضا الأنا؛ التي تعترف بالخطأ وتمتلك الشجاعة في التراجع إن بدا لها زيف ما كانت تعتقد، وتبتعد عن " تنزيه الذات ورسم صورة زاهية مشرقة لها من أجل أن ترمقها العيون بكثافة وتحدث اهتماما وضجيجا من حولها يشبع غرورها ونرجسيتها."[4] وهذه الذات التي تعترف بالخطأ وتراجع أفكارها؛ هي في الواقع تحصيل حاصل للذات الحرة أو الأنا الشخصي المستقل كما يعبر عنها الرفاعي؛ لأن العبد لا يمكنه الاعتراف بالخطأ فإن اعترف فقد تحرر.[5]

إن استعادة الذات " لأناها الخاص" في المجتمعات العربية دونه عقبات، يحاول الرفاعي تذليلها من خلال جملة من العناصر؛ يعثر عليها القارئ لمشروع الكلام الجديد منها:

1/ الانفتاح على القراءات المتعددة:

---

[1]/ عبد الجبار الرفاعي، الدين والظمأ الأنطولوجي، مصدر سابق، ص15

[2]/ المصدر نفسه ، ص15

[3]/ انظر: المصدر نفسه، ص 17

[4]/ المصدر نفسه، ص 30-31

[5]/ نقول هذا بالرغم من إقرارنا بدور البيئة والمحيط والمعارف القبلية، التي تفرزها الديانات والعقائد والثقافات، التي تشكل تحيزات معرفية؛ تُشعر أحيانا بنوع من الاستعلاء والتميز ومن ثمة رفض الاعتراف بالخطأ.

إن انفتاح الذات على القراءات المتعددة للمشهد الواحد أو الصورة الواحدة أو النص الواحد؛ يعني تحررها من سجن الرأي أو القراءة؛ التي تم تحضيرها من أجل اعتناقها وحفظها والتبشير بها، وهو يعني أن هذه الذات هي في طور أن تتكون لها رؤيتها وقراءتها الخاصة.

غير أن ما ينبغي التنبيه له، هو ضرورة التفريق بين فوضى القراءات وتعدد القراءات؛ ذلك أن البعض ربما اعتقد أن تعدد القراءات؛ يعني فتح الباب على مصراعيه لأي كان أن يقول ما شاء وكيفما شاء؛ فـ " دعوى إمكان القراءات المتعددة للنصوص الدينية؛ لا تعني ضوءا أخضر للفوضى التفسيرية ولا تفيد تصديق كل القراءات والانجراف إلى النسبية الباطلة ونبذ البراهين والاستدلال وراء الظهور، فالقراءات يمكن أن تكون متعددة كواقع فعلي لكننا ملزمون بنقدها وصولا إلى الحقيقة والتأشير على مواطن الهفوة والرصانة في كل قراءة وبذا تشخص قيمة كل قراءة ودرجة اعتبارها."[1] أي أن " القراءة التي لا تنطوي على براهين وشواهد كافية تستبعد وتعتبر باطلة، ولكن هناك أكثر من قراءة واحدة يمكن أن تتحلى بالأدلة المتينة التي تجعلها مقبولة وعليه يمكن أن تكون هناك أكثر من قراءة واحدة صحيحة ومقبولة ولكل واحدة من القراءات المقبولة أتباعها وأنصارها."[2] فالذات الحرة تصنعها القراءة المنضبطة والواعية.

2/ الانفتاح على المناهج والعلوم الإنسانية والاجتماعية:

يرى الرفاعي أن الانفتاح على المناهج والعلوم الإنسانية والاجتماعية المعاصرة؛ يعد من أهم العوامل التي يعول عليها في صناعة " الأنا الخاص"؛ لأنها (أي المناهج) تتيح الفرصة لطرح ما يصفها الرفاعي بالتساؤلات الجسورة و" تأويل النصوص الدينية في سياق رهانات العصر من أجل إلغاء المسافة الثقافية بين الماضي والحاضر وتحرير النصوص من الاغتراب التاريخي ومن كل التفسيرات والتأويلات التي تطمس ما تكتنزه هذه النصوص من بؤر مضيئة ورؤى ومفاهيم سامية تنتج ألفة وانسجاما وتناغما بين هذه النصوص وعصرنا."[3]

وفي سبيل ذلك لا يتوانى الرفاعي في الدفاع عن رؤيته بخصوص توظيف العلوم الإنسانية؛ إذ يقول:" إن تحديث الإلهيات والمعارف الدينية يتطلب الخروج من السياقات الكلاسيكية للتفكير الديني وعدم التوقف عن طرح تساؤلات جسورة والتوكؤ على منهجيات ومفاهيم مستوحاة من المكاسب الجديدة لفلسفة الدين وعلوم التأويل وفتوحات المعارف البشرية."[4]

ويضيف في موضع آخر:" يتوقف الاجتهاد المعاصر في علم الكلام على تمثل روح العصر والانفتاح على المكاسب الهائلة للعلوم الراهنة خاصة الإنسانية والتخلص من الحساسية والوجل أو العقدة في التعامل مع

---

[1]/ محمد مجتهد شبستري، الهرمونيتيقا الفلسفية وتعدد القراءات، ضمن كتاب: الاجتهاد الكلامي، مصدر سابق، ص75

[2]/ المرجع نفسه، ص75

[3]/ عبد الجبار الرفاعي، الدين والظمأ الأنطولوجي، مصدر سابق، 27-28

[4]/ المصدر نفسه ، ص 97

معطيات العلم الحديث."[1] مع أن الرجل يعي حجم التحيزات المعرفية والمركزية الغربية التي تطبع تلك المعارف والعلوم، ويفرق بين المنهج الذي هو جملة أدوات والمِنهاجية التي هي الخلفية التي تحكم قواعد المنهج وتوجهه، وهو يدرك أن المنهج لا ينفك عن خلفيته العقدية والحضارية، إلا أن ذلك لا يراه مبررا " يمنعنا من الانفتاح عليها وتوظيف ما هو صالح منها."[2]

وفي مقابل الذات التي يراهن الرفاعي على الانفتاح على العلوم الإنسانية من أجل استعادتها وتحريرها؛ يتحدث المفكر محمد عمارة عن الذات التي ستسحقها تلك العلوم وتؤدي إلى ذبولها ومحوها؛ حيث يبدي معارضة انطلاقا من أن هذا التوظيف يتجاهل الخصوصيات الحضارية والثقافية في المعارف الإنسانية.

فالأمر بالنسبة لمحمد عمارة يتجاوز التفاعل الحضاري إلى التبعية والتقليد وذبول الذات[3] وهو يفرق بين التفاعل الحضاري الذي شهدته الحضارة الإسلامية والمعارف الإسلامية في مراحل معينة من تاريخها؛ حيث يرى أن ما حدث هو أن المسلمين الأوائل استعاروا العلوم والمناهج التجريبية التي لا يختلف حولها اثنان، ولم يكن الأمر متعلقا بالعلوم الإنسانية، وعليه لابد كما يقول من الحذر الشديد من استعارة فلسفات المعرفة الغربية في العلوم الإنسانية مع فتح الأبواب للتفاعل الحضاري فيما هو مشترك إنساني عام؛ فحقائق وقوانين علوم المادة لا تتغاير بتغاير المعتقدات، ونتائج التجارب فيها لا تختلف باختلاف الثقافات والحضارات ...أما ثقافة عمران النفس الإنسانية فإنها مع مناهج البحث فيها واقعة في صلب الخصوصيات الحضارية لا المشترك الإنساني العام... وإذا كان الانغلاق الحضاري يؤدي إلى ذبول الذات الحضارية وتآكلها فإن التبعية الحضارية تعطل ملكات الخلق والإبداع فتنتهي بعقل الأمة، كالانغلاق الحضاري- إلى الذبول والموات.[4]

وهو الرأي الذي يراه المفكر قراملكي غير دقيق، ويعتبره من قبيل المغالطات والأخطاء المنهجية التي يجب الاحتراز منها؛ فمناهج العلوم الانسانية والاجتماعية المعاصرة-برأيه- ليست مذمومة لذاتها وإنما العبرة بالنتائج المتوصل إليها من خلال توظيفها. ولذلك ينبغي على المتكلمين المعاصرين أن يحذروا -أثناء توظيف تلك المناهج- من تحويل الإيمان والوحي الإسلامي إلى الصورة التي ترسمها المسيحية مع إقراره بأن توظيف تلك العلوم- مع الحفاظ على أصالة الوحي- هي عملية صعبة لكن التعامل المعقول مع المسألة الصعبة يتجلى في السعي نحو حلها لا إلغائها.[5]

3/ التحرر من القراءات الأيديولوجية للعقيدة:

---

[1]/ عبد الجبار الرفاعي، الاجتهاد الكلامي، مصدر سابق، ص14

[2]/ المصدر نفسه، ص15

[3]/ انظر: مؤلفاته في هذا المجال: الغزو الفكري حقيقة أم وهم؟ والاستقلال الحضاري.

[4]/ انظر: محمد عمارة، الاجتهاد الكلامي، ضمن كتاب: الاجتهاد الكلامي، مرجع سابق، ص133-136

[5]/ انظر: أحمد قراملكي، الاجتهاد الكلامي، ضمن كتاب: الاجتهاد الكلامي، مرجع سابق، ص299

القراءة الأيديولوجية للعقيدة هي نمط من التفسير يعمل؛ على تثوير النص ويمنحه طاقة نضالية ضد قوى الشر والاستبداد في المجتمعات الإسلامية. وهذه القراءة بقدر ما أسهمت في الحفاظ على الهوية في بعض البلدان والمجتمعات وأسهمت في بث الروح الوطنية في وقت من الأوقات ضد الاستعمار وأشكال الهيمنة والاستعباد، إلا أنها صنعت-بشكل كبير- ذاتاً مرهونة لصالح الطائفة والمذهب والجهة، وأسهمت في انغلاقها ومعاداتها للمخالف.

ومن ناحية أخرى تعمل القراءة الأيديولوجية على ما يسميه الرفاعي تخفيض الطاقة الإيمانية أو المقدسة ومن ثمة إهدار الجوانب القيمية للعقيدة.[1] لأنها قراءة تعمل على " ترحيل الدين من حقله الروحي المعنوي القيمي الأخلاقي إلى حقل آخر يتغلب فيه القانون على الروح ويصبح الدين أيديولوجيا سياسية صراعية تهدر طاقاته الرمزية والجمالية والروحية والمعنوية."[2] ولذلك تبدو(أي القراءة الأيديولوجية) عاجزة عن إنتاج قيمة الانفتاح، بل على النقيض من ذلك تماما، هي تنتج أفكارا وممارسات بعيدة عن روح الإسلام؛ أفكارا تغيب فيها قيم التراحم والشفقة والحب والخير وتحضر فيها مصلحة الطائفة والمذهب.

ولذلك فإن الرفاعي يرى في القراءة الأيديولوجية للعقيدة عائقا يتوجب إزاحته؛ لهذا السبب يتوجه في كثير من كتاباته إلى نقد بعض المفكرين الذين قرؤوا الإسلام قراءة أيديولوجية وقصدوا إلى تثوير الدين من أجل تغيير واقع المجتمعات العربية والإسلامية ومحاربة الاستبداد والفقر وما إلى ذلك...[3]

وفي مقابل القراءة الأيديولوجية والنضالية للدين يرافع الرفاعي من أجل قراءته قراءة وجودية[4] " تعيد الثقة بالله وتبدّد اليأس، وتشفي المرء من السوداوية، وتضيء ما هو مظلم في عالمه الجواني، وتبعث لديه التفاؤل، وتمنحه القدرة على عبور ما تمتلئ به دروب الحياة من أشواك." [5] وتسهم- من ثمة- في التأسيس لاستعادة الذات " لأناها الخاص".

هكذا يخلص الرفاعي إلى أن " استعادة الذات لأناها الخاص" هو ما يصنع لنا ذاتا أخلاقية تؤمن بالاختلاف وتحسن التواصل مع المخالف؛ ذاتا تفرض احترامها ويعول عليها في بناء نظام اجتماعي أخلاقي ودولة تؤمن بالتداول السلمي على السلطة، وبالمشاركة الشعبية في الانتخابات وحرية اختيار الحكام، والفصل بين السلطات، وحماية المجتمع من تغول السلطة وطغيانها، وحماية ثروات وممتلكات وأموال الشعب من أيدي رجال السلطة وغيرها...

---

[1]/انظر: عبد الجبار الرفاعي، الدين والظمأ الأنطولوجي، مصدر سابق، ص10.

[2]/ المصدر نفسه، ص94

[3]/ ومن هؤلاء المفكرين الذين ينتقدهم في هذا المجال: حسن حنفي وعلي شريعتي ...

[4]/ انظر منجزاته الفكرية خاصة منها " الظمأ الأنطولوجي للدين" و" إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين."

[5]/ أحمد سالم، النزعة الإنسانية في الدين عند عبد الجبار الرفاعي، 29/05/ 2018 https://www.hafryat.com/ar/blog/%

إن الذات المرهونة لمصلحة الطائفة والمذهب والرافضة للمخالف لا يمكن الرهان عليها في تحقيق وبناء المجتمع والدولة والنظام الذي يحلم به الإنسان في العالم الإسلامي والعربي؛ " ففي الدول المتقدمة–ترتفع بدرجات قياسية– معدلات الصدق والأمانة والإخلاص والنزاهة وتقدير قيمة الوقت والمثابرة على العمل والتعامل مع المواطن؛ بوصفه مواطنا وكفى من دون النظر لمعتقده أو إثنيته أو عشيرته أو طبقته وذلك ما يدعو الناس الذي يتعاملون مع المؤسسات الحكومية أو غيرها إلى الشعور بالرضا وعدم المظلومية. ويتناسب معدل النمو في كل دولة مع قوة حضور هذه القيم في المجتمع ويتراجع تبعا لهشاشة حضورها." [1]

الخاتمة:

لقد تبنت الباحثة فكرة القيم الأخلاقية في مشروع الرفاعي لعلم الكلام الجديد، وجاءت معظم أفكاره ورؤاه لتلبي رغبتها وشغفها المعرفي في تأسيس وبناء علم كلام جديد؛ يعاد فيه الاعتبار لقيمة الانفتاح والاعتراف بحق المخالف في الرؤية والتفكير، حتى تتجسد هذه الصياغة الكلامية في جامعتنا وبين نخبنا أولا. وفي أوساط الأفراد والمجتمعات الإسلامية تاليا؛ إذ من غير المعقول أن يستمر الحوار بين المسلمين بالسلاح والعنف وأن يستمر المسلمون في تطوير قدراتهم العسكرية والتحضير لحرب بعضهم البعض بشراء الأسلحة، وتخزينها على حساب تطوير الصحة والتعليم وتطوير المستوى المعيشي للفرد، وربما لهذا السبب كادت الورقة أن تخلو من مناقشة أو نقد أفكار الرفاعي في هذه النقطة بقدر ما ركزت على جمعها وتوضيحها.

وقد انتهت هذه الورقة إلى جملة من النتائج أعرضها في النقاط التالية:

1/ إن علم الكلام اليوم مطالب بكشف القصور القيمي والأخلاقي في علم الكلام الموروث.

2/ يعد عبد الجبار الرفاعي من الأوائل الذين ما فتئوا ينبهون إلى القصور القيمي في علم الكلام القديم، وهو جزء من مشروعه في علم الكلام الجديد وفلسفة الدين.

---

[1]/ عبد الجبار الرفاعي، ولادة الدولة في الفكر السياسي الحديث، الحوار المتمدن، ع6103، 2019/01/03، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=623439&r=0

3/ إن ما يقدمه الرفاعي في هذا المجال هو إشارات لا ترقى إلى أن تكون منظومة أخلاقية متكاملة؛ غير أنها تعد بمثابة الإرهاصات الجدية لتموضع مركزي لهذه القيمة الأخلاقية الرئيسية، من أجل بناء علم كلام تواصلي حواري يؤسس للتعايش.

4/ يدرك الرفاعي أن توطين قيمة الاعتراف بالمخالف في المجتمعات الإسلامية ليست متاحة في ظل افتقاد الذات الحرة أو الأنا الخاص.

6/ إن استعادة الأنا الخاص في فكر الرفاعي يكون عبر تعدد القراءات والانفتاح العلوم والمناهج المعاصرة، ومن خلال تجاوز القراءة الأيديولوجية للعقيدة والاهتمام بالقراءة الأنطولوجية للدين ككل.

7/ إن استعادة الأنا الخاص؛ يعني صناعة ذات متشبعة بقيمة الانفتاح والاعتراف بالمخالف.

8/ إن العجز عن توطين الدولة التي يحلم بها الإنسان عند الرفاعي؛ مرده العجز عن توطين قيمة الاعتراف بالمخالف والانفتاح عليه والتواصل والحوار معه.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا–المصادر

1/ الرفاعي عبد الجبار، كتاب علم الكلام الجديد–مدخل لدراسة اللاهوت الجديد وجدل العلم والدين، مجموعة نصوص وحوارات ضمن موسوعة فلسفة الدين(3)، ط1، بغداد، مركز فلسفة الدين، 2016.

2/ الرفاعي عبد الجبار ، كتاب الاجتهاد الكلامي: مناهج ورؤى في الكلام الجديد ، مجموعة حوارات ضمن: قضايا إسلامية معاصرة، بيروت، دار الهادي.

3/ الرفاعي عبد الجبار ، الدين والظمأ الأنطولوجي، ط1، بغداد، مركز دراسات فلسفة الدين،2016.

4/ الرفاعي عبد الجبار ، السيرة الذاتية، مرسلة عبر البريد الإلكتروني الخاص، بتاريخ 4/5/ 2018.

ثانيا–المراجع

1/ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، بيروت، دار صادر، ج7.

2/ ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة، ضبط المتن ووضع الحواشي الأستاذ: خليل شحادة، مراجعة: الدكتور: سهيل زكار، دط، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 2001.

3/ شبستري محمد مجتهد ، الهرمونيتيقا الفلسفية وتعدد القراءات، ضمن كتاب: الاجتهاد الكلامي.

4/ عمارة محمد، الاجتهاد الكلامي، ضمن كتاب: الاجتهاد الكلامي.

6/ الغزالي أبو حامد، المنقذ من الضلال، وضع حواشيه وخرج أحاديثه وقدم له: أحمد شمس الدين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1988.

7/ الفارابي أبو نصر ، إحصاء العلوم، تحقيق: عثمان محمد علي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1931. حمد علي محمد

8/ قراملكي أحمد ، الاجتهاد الكلامي، ضمن كتاب الاجتهاد الكلامي

9/ المبروك علي ، علم الكلام وسؤال الواقع العربي الراهن –من نقد الممارسة إلى تفكيك نظام المعنى الكامن، ضمن كتاب: علم الكلام الجديد.

ثالثا– المواقع الإلكترونية:

1/ عبد الجبار الرفاعي، ولادة الدولة في الفكر السياسي الحديث، الحوار المتمدن، ع6103، 2019/01/03، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=623439&r=0

2/ عبد الجبار الرفاعي، افتقار علم الكلام إلى المضمون الأخلاقي، 29/ 2018/01 https://taadudiya.com/

3/ عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام والحياة الأخلاقية، صحيفة المثقف، ع 4791، 2018/02/13 http://www.almothaqaf.com/qadayaama/b1d/925203-

4/ أحمد سالم، النزعة الإنسانية في الدين عند عبد الجبار الرفاعي، 2018/05/29 https://www.hafryat.com/ar/blog/%

5/ محمد همام، عبد الجبار الرفاعي: قراءة في تجربته الفكرية، مركز آفاق للدراسات والأبحاث، حرر في 2013/06/06، https://aafaqcenter.com/index.php/post/1776